

تقييد

للأستاذ أنور المعداري

كتاب وطني كريم من السودان :

تحية طيبة وتقديراً عظيماً ، وشكراً على هذا الأدب الحار
الذي تمتصه في « الرسالة » كل أسبوع ...

وبعد ، قد ذكرت في كتابك بمدد « الرسالة » (٨٢٣)
تحت عنوان « بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية » كلمات
مدحت بها الإنجليز في حفاظهم على مبدأ الحرية وتأثرهم بالحياة
الديمقراطية الحرة حيناً تقارنهم بالأمريكيين أو الروس .

وكانت هذه السطور يحقر الشيوعية ، كما يكفر بكل هذه
النظم الثرية الناشئة . أما الذي دعاني إلى الكتابة إليك ، فهو
أنى أستكثر جداً ذلك المدح المسمم الذي أضفته على الإنجليز حيناً
قلت لهم « أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشرها
المحكوم ، ويلتقون جميعاً في رحابها كأكرم ما يلتقي الإنسان
الكريم بالإنسان الكريم » ...

إذ كنت تقصد يا سيدي أنهم يسرون وفق هذا المبدأ في
انجلترا وحدها فهو صحيح ، ولكن الإنجليز لا يستحقون على
ذلك كل هذا المدح ، بل يجب أن يقول لهم أنانيون وغير
إنسانيين ، وإنهم لم يؤمنوا بمدد مبدأ الحرية الذي يجعل الناس
سواسية كأسنان المشط مستمرين أو مستمرين . فالإنجليز
خارج انجلترا حكام إرهابيون بكل ما في هذه الكلمة من معنى ،
وأظنك قد سمعت بالقنايل التي فنكت بمواطنيك من أبناء الجنوب
في شهر نوفمبر الماضي في « مطبرة » و « بورسودان » ، وبعثات
الجرحي ومئات الذين ضربوا بالعصى السليطة في « الخرطوم » ،
ومئات الذين زجوا في سجون البلدان الأخرى بالسودان لكي
يسيطر أبسط مايسمح به للفرد في ظل الحكومة الديمقراطية ،
هو إعلان الرأي سواء بالكتابة أو الخطابة أو المظاهرة السلية
الغزلاء .

وأظنك تسمع بسلسلة المحاكمات الجارية اليوم تحت المادّة
(١٠٥ من قانون عقوبات السودان) ، لأن فلاناً كتب مقالا ،
أو أدلى بتصريح من شأنه أن يسب كراهية الإنجليز أو حكومة
السودان ، وغير ذلك ... فما رأى الأستاذ في هذه الديمقراطية
المزيفة ؟ أقول لن يستطيع الإنجليز أن يحصلوا على مدحك هذا
عن جدارة واستحقاق حتى يتساوى المحكوم في (الخرطوم)
بالمحكوم في (لندن) في كل الحقوق الديمقراطية ، وحتى يؤمن
الإنجليز ببيني فيلسوف العرب العري :

ولو أني حيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هـات على ولا بأرضي سحاب اس تنظم البلادا
وإني لفي انتظار ردك الكريم .

(السودان)

حج . ع . البشير

هنا هو الكتاب الوطني الكريم الذي تلقته من الجنوب
وأشرت إليه في عدد مضى من « الرسالة » ... إن كتابه اللطيفة
بصدق الوطنية وحرارة الإيمان لهزني هزاً عتيقاً ، تهزني لأنها
تعمل إلى من أعماق النفوس الأبية فتحات وضحات ، وتقل
إلى من سجل الجهاد النادر سطوره في حساب الشعور صفحات ...
أما الكتاب — وإن كنت لا أستعفه — إلا أنني أنزله من نفسي
منزل الورد الخالص والأخوة التسامية ، الأخوة التي استروحت
أقسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد
ياخي ، ياخي في الله والدين والوطن ... إن الأرض التي جمعت
بين قلبي وقلبك لتجمع بين جراح وجراح ، وإن النيل الذي ربط
بين روحي وروحك ليربط بين كفاح وكفاح ... أنا هنا وأنت
هناك ، ويايبد الشقة في منطلق الظلم البئيس ، وياقربها في منطلق
الحب التمثل في طلوايا الوجدان ... نحن ياخي في ميدان الجهاد
يد تمد إلى يد ، وفي معرض التضحية قدم نسي إلى قدم ، وفي
مجال الوفاء طائفة تقبس من طائفة ... فكيف تماثني على كلمات
قلها في سياق الحديث عن قوم يؤمنون بالديمقراطية في أرضهم ،
ويكفرون بها في أرض الناس ؟ !

أجل ، يا صديقي ، لقد كنت أحدث من الإنجليز في بلادهم ،
لهم هناك أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشرها
المحكوم ، ويلتقون جميعاً في رحابها كأكرم ما يلتقي الإنسان
الكريم بالإنسان الكريم ... حقيقة نسجناها في الحشائش وسجلناها

القراء ... ولقد كان معروفًا أن هناك أديبا فرنسيا كبيرا يمتلك هذه المجموعة التي كتبها رامبو بخط يده وتركها بدمونه دون أن تأخذ طريقها إلى المطبعة . ومن هنا أحدثت انطبعة ضجة كبرى في الأوساط الأدبية الفرنسية ، حتى لقد تهافت المسجونون بفرن رامبو على ألوف النسخ المطبوعة فنفذت في مدى يومين !

أما النقاد الفرنسيون ، فقد استقبلوا الكتاب بمغارة بالثة دقت أحدهم وهو « باسكال بيا » إلى أن يكتب عنه كلمة مستيضة رفع فيها شعر رامبو إلى القمة من الأدب الفرنسي الحديث ... وحين فرغ الكاتب الفرنسي الكبير « فرانسوا مورياك » عضو الأكااديمية الفرنسية من مطالعة المجموعة تناول قلمه ليكتب مقالا يصب فيه إعجاب البالغ بفرن رامبو ، ذلك الإعجاب الذي فجر المصوح في عينيه وهو ينصت لهلمات الشاعر في كل قصيدة من قصائده ! وفي الوقت الذي هم فيه مورياك بأث يبعث بمقاله إلى جريدة « النيجارو » أذاع أحد الكتاب الفرنسيين وهو « بيير بريسون » خبراً لغواه أن هناك خدمة كبرى وقعت فيها « الماركيز دي فرانس » حين أهدمت على نشر كتاب لا يمت إلى الشاعر الفرنسي بصلة من الصلات ، مؤكداً أن النسخة الخطية التي طبعت لم يكتبها رامبو وإنما كتبها شابان مابان بسميان إلى جمع للال عن طريق غير شريف ! واعتزت الأوساط الأدبية الفرنسية تحت وقع الخبر ، وبخاصة حين أعلن الكاتب السريالي الكبير « أندريه بريسون » أن النسخة الخطية التي كتبها رامبو بين يديه ، وأن تلك التي نشرت ما هي إلا تقليد بارع ! واقلبت الضجة إلى خصومة عنيفة انقسم بسببها الأديباء الفرنسيون إلى فريقين : فريق ينتصر لباسكال بيا وفرانسوا مورياك حين يزعمان أن التقليد لا يمكن أن يسمو إلى مثل هذا الأداء الفني الرفيع ، وفريق آخر ينتصر لأندريه بريسون وبيير بريسون حين يؤكدان أن الأمر لم يكن إلا خدمة نسجت خيوطها بمهارة !

وأخيراً انتهت الخصومة العنيفة إلى مهزلة ليس لها نظير ... لقد اعترف الأديبان الناقدان بفسادها الجريئة ، فاضحين إلى أنهما لم يهدئا إلى الحصول على اللال من طريق غير شريف ، ولكن هدفهما هو أن يحصلوا على شهرة أدبية لا يستطيعان أن يصلا إليها عن طريق إسعين غير معروفين ، ولقد دانت لهما تلك الشهرة عن جدارة أيديهما بقلبه وقله عضو من أعضاء الأكااديمية الفرنسية ... هو فرانسوا مورياك !

التاريخ ، حتى إذا ما سجلنا التقيض كنا أننا على الحق سواء أشدنا بالعدل أم أشرنا إلى الظلم والعتيان ! من الحق أن تمت الإنجليز بأنهم مثاليون في بلادهم ، مثاليون في قيم النزاهة ومعايير الخلق وموازين الإنسانية والضمير ومن الحق أيضاً أن ننتهم بأنهم مثاليون في غير بلادهم ، مثاليون في الأنانية والجشع ، وضئمة الضمير والخلق ، وانثناء العدل والإنصاف . وتلك هي المنازير الضخمة التي يسطر تحتها التاريخ ككأته الخالدة حين يمرض للحكم البريطاني في أرضه وكل أرض سكنها الأحرار في كل زمان ومكان !

ياخي ، ياخي في الله والدين والوطن ... إن الأسود الراتنه التي يدانها في شمال الوادي ، أشودة الجهاد التي انطلقت من قيثارة الأحرار ، قد أذن الله أن ترسل أناسها في جنوه . وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان ... ولكن أناسنا ستظل إلى الأبد ترن في مسع الزمن ، ولكن نارنا ستظل إلى الأبد تضيء الطريق للسالكين ، ولكن ذكرانا ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطراً يفرح !

ولا عليك ياخي من تلك القيود ... إن معدنها الرخيص سينوب يوماً تحت وهج النار المتأججة في حنايا الضلوع ! ولقد قال أبو العلاء ما قال لأنه إنسان ، ولكن أين من يستمع لنساء الإنسانية وقانون السماء ؟ ألا ليت الطغاة قد جعلوا شمار حكمهم هذه للكلمات التي انطلقت من أعماق بطل الحرية إبراهيم لتسكون : « إن ضوء الشمس لا يفرق في يد الله بين أحرار وعبيد ، فلم يفرق ضوء الحرية في أيدينا بين أنصار وخصوم » ! ومع ذلك فتسير يوماً جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب ، وهيوننا أياً إلى الأفق البعيد !

ضوء أديب هول كتابه لهدنبر رامبو :

أوتير رامبو شاعر من شعراء الرمزية في الأدب الفرنسي نوق في أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩١ ... ولقد كان رامبو صديقاً حياً لشاعر الرمزية لأول بول فولين ، حتى لقد تعرضت تلك الصداقة الوطنية لتجرع بعض النقاد من ناحية السلوك الأخلاقيا وترك هذه الناحية الشائكة لتقول إن إحدى هود للنشر الكبرى في باريس قد أعلنت في الأيام الأخيرة عن حصولها على مجموعة شعرية لرامبو ، وأنها على أهبة طبعها لتسكون بين أيدي

قصة فريدة نهدنا إلى أدبنا الناشئين ممن تعرض عن إنتاجهم دور النشر وتوصد المجلات الأدبية أبوابها في وجوههم .. نهدنا إليهم اندلجوا على أقصر طريق يصلون منه إلى الشهرة الأدبية وقلوب الناشئين !!

بعض الرسائل من فنية البرير :

رسالتان من « العراق » وكانتا من « بغداد » ، أما الأولى فن الأدب الفاضل عمر عيسى السامرائي « عهد التربية البدنية » وبها سؤال عن بعض ماجاء بكتاب « على هامش السيرة » من أراء متناقضة للدكتور طه حسين ، وأما الثانية فن الأديب الفاضل إسماعيل محمد السامرائي وبها سؤال آخر عن بعض ماجاء بمسرحية « شهر زاد » من فلسفة لفظية تخالف منطق الواقع للاستاذ توفيق الحكيم ، وسأجيب عن السائلين في العدد القادم من « الرسالة » . وهذه هي الرسالة الثالثة من « عمان - شرق الأردن » تحمل إلى معلومات لطيفة سبت في قالب من التهمك اللاذع على ذلك الفعاص العاصي النابغ الذي قلت عنه إنه درس فن القصة في كتاب القرية ، وقد كنت أود أن أثبت هذا التهمك غير أني تذكرت أن المقصود به أهون من أن يشار إليه بأى لون من ألوان الذكر ، ولذا أعتذر للأديب الأردني الفاضل أحمد عزيز يتوغلن شاكرًا له كرم تقديره . والرسالة الرابعة من « المحرق - البحرين » أشكر لمرسلها الأديب الفاضل مبارك راشد الخاطر حسن ظنه ، وأجيبه بأن رأيي في شعره هو أن أداءه اللفظي لا بأس به وأن كل ما ينقصه هو العناية بالأداء النفسي ، وذلك ناحية سأعرض لها بالتدريج والتحليل في عدد مقبل من « الرسالة » تحت عنوان « الأداء النفسي في شعر المهجر » . والرسالة الخامسة من « عدن » يأخذ على فيها الأديب الفاضل علي باذيب ذلك الرأي الذي سبق أن أبديت فيه إعرافني عن إخراج كتاب مادام الجمهور القاري مرضًا عن شراء للكتب ، يا صديقي أما شاكر لك ثناءك الطاهر وتمتلك الثانية ، أما الإعراف عن التأليف فهو إلى حين ، وليس بمستبعد أن تنتهي أزمة القراء وتجدد الأمل !

وانتقل بعد ذلك إلى الرسالة السادسة وهي من « مطربة - سودان » لأقول لساحبها الأديب الفاضل مكرم سيد إنني مقدر له هذا الشعور النبيل المتدفق من كلماته ، ولست أملك إلا أن أستجيب لرغبته في الأيام القليلة . وإلى الرسالة السابعة وهي من « الخرطوم - سودان » أيضًا لأقدم خالص امتناني للأديب

الفاضل عبد الرحيم محمد أحمد على تحيته الصادقة ، ولأجيبه عن رغبته في أن أخص الأدب السوداني بشيء من العناية بأنه يؤسفي حد الأسف الايكون بين يدي من نصوص هذا الأدب ما يمكنني من الكتابة عنه ، وحينذا لو بحث إلى كتاب السودان وشراؤه بإنتاجهم الأدبي مطبوعاً لأقوم بدراسته وتقديمه إلى القراء . أما

الرسالة الثالثة فن الأديب الفاضل عبد الرحمن السيامي هيئة الإذاعة البريطانية « بالخرطوم - سودان » ، وفيها يرد على الأستاذ محمد غنيم بمناسبة مخطئته لي حين قلت « لم أكن أعرف » - مستهداً بالآية الكريمة من سورة المدثر « ولم نك نظم المسكين » إن تعقبي على هذه اللفظة الموقمة بدخالص الإعجاب هو أن الأستاذ غنيم مدفور لأنه « لم يكن يعرف » : أن التصير صحيح لا غبار عليه وتبقى بعد ذلك أربع رسائل مصرية ... الأولى من الأديب

الفاضل السيد علي الشوربجي الطالب بكلية الحقوق ، وفيها يناقشني نقاشاً طويلاً حول الكلمة التي كتبها عن أبي العلاء ، يا صديقي أرجو أن تعود مرة أخرى إلى ما كتبت لأن هناك بعض مسائل قد خفيت عليك ولماها تكشف لك بعد التأمل والمراجعة . والثانية حول أبي العلاء أيضاً وهي من جندي فاضل بالجيش المصري رمز لنفسه بتلك الحروف الأولى من اسمه (م . ف . ا) ... أنا شديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البراسل من يقرأ « الرسالة » ويشق الأدب ، وشيخ يفكره فيما كتبت عن أبي العلاء ، ويخاطبني بقوله « سيدي طيب الأدب ، أنا مؤمن بما جئت به عن الحرمان النفس والجسدي عند أبي العلاء ، ولكن ما ذا تصد بالحرمان القلبي حين قلت إن قلب أبي العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة مع أن هذا القلب كان عامراً بالعاطفة الانسانية » ؟ ... عزيزي أديب الجيش ، أنا أقصد العاطفة الأشوية لا العاطفة الانسانية ؛ تلك التي تنسب إلى المرأة وكان يمكن أن تملأ بعض الفراغ في حياة أبي العلاء . أما الرسالة الثالثة فن الأديب الفاضل (م . م . س) يتمهد أسيرت الدين ، إن ردى عليه هو أنه يستطيع أن يدرس اللغة الإنجليزية وهو باق في دراسته الأزهرية ، وذلك عن طريق بعض اللغوس الخاصة من أحد المدرسين الأكفاء ، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يحقق له ما يصبو إليه . وأنتهي إلى الرسالة الرابعة أو الثانية عشرة والأخيرة لأشكر لمرسلها الأديب الفاضل محمد فتحي سيد بدمشور هذا الإخلاص الرائع للمثل العليا الفكرية ، أما شعره الذي يمت إليه فإود أن يتمده بالعقل لأرضى منه في المستقبل القريب .